لعبيدي بو عبدالله
وتجليات التجربة الذاتية

أ.د إياد عبدالمجيد العبدالله جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية /كلية الآداب

يبدو أن تجربة الشـــاعر لعبيدي الخاصة[1]، وهمومه التي عاشـــتها البشرية جراء جائحة كوفيد 15، ومشـــكلات الإنســـان المعاصر التي رافقت هذه الجائحة، كانت أكبر من أن تســـتوعبها القصيدة القصيرة أو المتوســـطة التي عودنا عليها في شعره، فوجد في القصيدة الطويلة [**تنظر القصيدة كاملة في ملحق البحث**] أحد المنافذ التي يعبر خلالها عن عالمه المعقد هذا.

فالمعروف عن القصيدة الطويلة عند العرب أن عدتها خمسين بيتا أو أكثر، فمعلقة النابغة بلغت (106) بيتا، وتميز بعض الشـــعراء بالإطالة كالكميت والفرزدق وذي الرمـــة، وكان أكثرهم ابن الرومي الـــذي بلغت إحدى قصائـــده (337) بيتا وابن

(1) لعبيدي بـــو عبدالله، جزائري حاصل على الدكتـــوراه، جامعة الجزائر2، 2006، الماجســـتير في علم النفس اللغوي والمعرفي، جامعة الجزائر 2، 2004، وماجســـتير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، 2001. أستاذ العلوم اللسانية، شاعرله عدة دواوين شعرية، آخرها ديوان (انتظار)، خطاط، وله خبرة في التعليم الجامعي تفوق 20 سنة، درس بعدة جامعات في الجزائر والإمارات العربية المتحدة وغيرها، مهتم بالدراســـات العروضية وتحقيق التراث، نشر العديد من الكتب والأبحاث وناقش عدة رسائل ماجستير ودكتوراه.

الفـــارض (737) بيتا، وفي العصر الحديث شـــوقي في الـــبردة (190) بيتا، والهمزية (201) بيتا، وحافظ إبراهيم في العمرية (187) بيتا. [1]

ومـــن منطلق أن القصيدة الطويلة لا تكتفي بشـــكليات التجريب، بل تتعداه إلى أسباب ذاتية وموضوعية تفرضها عوامل نفســـية وإنسانية. لذلك فإننا نرى مطولة لعبيدي التي نافت على المائة بيت، يشـــكل النص الشعري فيها عدة أصوات تتباين وتتعدد، وقد يحمل الشـــاعر الشيء وضده، أو ما يقابلـــه في النص الواحد، وأحيانا يحاور نفســـه، أو تراه يخلق مـــن ذاته مخاطبا... وربما يشـــوش أفكارنـــا في العنوان والتأويـــل كمفتاح تأويلي.. غير أن النص الذي بين أيدينا «**من أنت.. لولا الله**» وهو من المطولات **للشاعر لعبيدي بو عبدالله**، يشكل عنوانه عتبة نصية موازية، نستكشف فهم النص من خلاله ومعانيه الظاهرة والخفية..

فالعنوان هو ثريا النص ومفتاحه المهم للوصول إلى أعماقه وســـبر أغوارشـــعابه الممتدة (بنيس، 2014، ينظر: 73).. وهو يســـهم في بيان الدلالات ومعانيها الخفية، فضلا عن الكشـــف عن مقاصد النص المباشرة وغير المبـــاشرة، والعلاقات الجدلية والإيحائية فيه، ســـواء أكانت كلية أو جزئية، بل أن العنوان هو النص، هو الرأس في الجسد، يقدم لنا مســـاهمة لفهم غموضه أو ضبط انسجامه، وهو المحور الذي يعيد نفسه ويضبط انسجام النص وتناميه، وإعادة إنتاج نفسه..

كـــما أن ما يحيط به بالعنوان من عتبات مثل الإهداء، يشـــكل مـــا يطلق عليه في النقد الحديث اليوم اختصارا النص الموازي، فالعناصر الموجودة على حدود النص، داخله وخارجه في آن تتصل اتصالا يجعلها تتداخل معه، وتشتغل على إنتاج دلاليته، فالأهداء في النص يفسر جوانبه، ويضيء تلك الجوانب.

ففي هذه القصيدة الشـــاعر يهدي قصيدته: «إلى كل ضحايا جائحة كورونا دون

(1) ينظر موسوعة دواوين الشعر العربي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم 2009م.

اســتثناء.. ومن وهبهم البارئ الحياة» ويبرز في العتبة اسم الشاعر، فحضور الاسم هنا تأكيد انتماء النص لقائله وهو يأتي ضمن ملحقات النص الموازي، فالشــعر هنا هــو منتج النص ومبدعه ومالكه الحقيقي، وبالتالي يشــكل مــرآة لنصه من الناحية الاجتماعية والنفســية شعوريا أو لا شعوريا، والحالة الشــعرية لا تتشكل بنيتها إلا بعد أن تمتزج الحالة النفسية بالاجتماعية، وبكل البؤر التي تصنع حياة الشاعر. ونرى في العنوان كــما في الإهداء نقاطا تدل على المحذوف (عتيــق، ينظر: 73)... ضحايا تمثل الموت، يقابل ذلك في الضد من وهبهم الله الحياة.. والمكان النصي ببياضه يترك الصمت يتكلم، كما ســنجد أن أثر المحو يكثف إيقــاع كل من المكتوب والمكتوب الممحى في النص ببعض الأبيات، ويشــكل ذلك بناء دلالة تمثل تشكيلا جديدا لمنح الخطاب ثراء في بلاغته وشعريته.

فالفراغ في العنوان بعد السؤال «من أنت....» يجعل الشاعر يمهد للقارئ مفاتيح النص للتعريف بالذات، فالإجابات التي ســتأتي في النــص هي مفتاح لهذا الغياب النصي، وهي توقعات للمتلقي الذي ينتظر إجابة من هذا العنوان.. ثم الشرط المقترن بالامتناع لوجود الله يشكل كسرا ظاهرا لتوقعات المتلقي منذ اللحظة الأولى، لذلك ينفتح الســؤال على مســاحات من التقوى والزهد التي يعيشها الإنسان في ساعات الصراع حيث يجد الموت ماثلا أمامه كل يوم، كما عشناه جميعا في كورونا.

النسق التركيبي الدلالي في القصيدة:

يبدأ النص بفعل الأمر، يخاطب الشاعر نفسه (عد) في البيت الأول المصرع بكلمة الذات الإلهية «الله» التي تشكل الإيطاء في قافية النص، وتكرار هذه الكلمة العظيمة يشــعرنا بالهيبة والقدرة، تؤدي جانبا إيقاعيا في النــص، واصلة بالوزن، وداخلة في المعنى، بل هي بؤرة المعنى في كل بيت ســواء أكان مســتقلا كما في أكثر الأبيات في النص، أم كان مــدورا كما في بعضها، حيث يتكرر لفظ الجلالة في البيتين.. فالتكرار

عند لعبيدي يضع بين أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة عند الشاعر، وهو بذلك يسلط أحـــد أقوى الأضواء المقصودة والهادفة شـــعوريا، ففي المحـــن لا ملجأ إلا إلى الله، وبذلك يسلطها الشعر على أعماق النفس، فيمنحها دفقـــا شعـــوريا مكتظا بالمعاني التي تكشف عظمة الخالق.

تتمحور الأبيات في المستهل بالطلب ودلالاته (ينظر العروضي)، بوصفه المحرك للدلالة النصية في الصدر والعجز الأول، وهو مكمل تقريري لإرســـاء بنيان النص الممتد، مبتدأ ذلك بصيغة الأمر الذي يشـــير إلى حتميـــة الحكم والإلزام مع الشرط الذي سيتكرر في القصيدة ويمنحها شعرية من خلال التكرار وموسيقاه الذي يحدث سحرا في المخيلة، تذكِّر بالماضي والعمل برضا الله وتجاوز المحن بفضله تعالى، فلفظ الجلالة حين يتكرر يبعث الماضي ويســـتحضر المواقف في ظل الجائحة، كما يستشرف الآتي.. وفي كل هذا يضفي أجواء القداسة والرهبة على النفس:

1 عد للذي سواك (عبد الله) يا أيها الراضي بحكم الله

فالفعل (عد) يكشف علم اليقين بأن الله جل وعلا يراقب الإنسان في كل حين.. من هنا تنفتح القصيدة على أســـئلة متعددة يكشـــف من خلالها خداع الدنيا، أسئلة استنكارية يقر فيها بسطوة هذه الدنيا وقمعها لغروره وبطشه:

4 ما كنت حين بليت في دنياك فاســـ ـــتحضرت في بلواك صبر الله

وهو حين يعرض بالدنيا وزخرفها يكشف لنا عوراتها إلى كل من خفي عنه شرها في أسلوب وعظي قائم على النصح.

تبدو شعرية النص من تتابع الأبيات فهي تنبثق من توحد الأشياء التي ملخصها في كل الأبيـــات عظمة الخالق.. يتجلى المعنـــى في كل بيت لما يضاف إلى لفظ الجلالة بدءأ من البيت الأول: حكم الله، لطـــف الله، باب الله، صبر الله، فتح الله، نصر الله،

أرض الله، أُنس الله، حبل الله،.... وحتى نهاية القصيدة: بحمد الله، كحق الله، كقدر الله... أمان الله وأخيرا بلاد الله «، وتكرار القافية في النص يأتي في معنى مستقل، ولا يدخل في عيب الإيطاء، وهو إعادة كلمة القافية في بيت الشـــعر، يذكر العروضيون: «وإن كان في الكثير الغالب غير مقبول قد يحســـنه العام المناســـب له أحيانا» (ينظر: مبـــارك، 2012) وبذلك تزول الحدود بـــين الأبيات، وتتعـــدد التفاصيل، فتصبح القصيدة المطولة كلية تتوحد فيها أحاســـيس الشاعر، فالشاعر الحاذق قد يضع كل هذا فيما يناســـبه فيضطرنا إلى قبوله.. وتكشف القافية عن قدرة الشاعر وذوقه وهي تضفي من حرارة الوجد والانفعال والإقرار بالضعف الإنساني أمام مغريات الحياة ومكافحة شرورها.. فلم يكن دافع الشاعر الزهد روحيا ونفسيا فقط، بل كان عقليا كذلك، فقد أدى به تأمله في الحياة الدنيا وخلق الله إلى الزهد فيها، فليس سوى لطف الله بعبده، وهذا سبيل العاقل الذي تهون في نظره الدنيا:

2 ماكنت تدري إذ دهتك مصيبةٌ ماذا ستصنع دون لطف الله

إن حساسية الشـــاعر فيما مرت به البشرية من داء كورونا القاتل ورؤية القصيدة عنده تنقاد إلى ثوابتـــه وقيمه الدينية التي تربى عليها في دين الإســـلام، متوجها إلى الحكمة في نصه.

في النســـق التركيبي الدلالي اشـــتغل الشـــاعر على قضية محوريـــة تثيرها أبيات القصيدة، وهي كما يشي العنوان علاقات الشـــاعر مع الموت – في ظل جائحة كوفيد 19 – والبقاء الملتبســـة بكل معاني النفي، والوحشة، والخيبة والضيق، والبحث عن عيش الله المكرم، والالتزام بهديه، والصبر.. فكل شـــيئ مكتوب «لدى الملكين عند الله» ب 67.

يبدو الموت قوة مهيمنة في النص تترك ظلالها في كل بيت ضمن النسق الذي جاء عليه في تسلسل أبيات القصيدة كما أراد الشاعر، ويمكن نقل أي بيت إلى مكان آخر

فذلك لا يؤثر على السياق الترتيبي إلا في الآبيات المدورة، فالموت دافع للخوف من الحياة، وهذا ما دفع بالكثير من شعراء الزهد (بنيس، 2014، ينظر: 170 وما بعدها) الذي ينهج لعبيدي نهجهم في هذا النص، وهو التذكير بالنقيض من الحياة، وهو خير وسيلة للعظة والتنبيه، فما ينال من عرض الدنيا مهما كان وافراً لا ينفع من عذاب يوم عظيم.. دلائل الموت ليست حديثا مستقلا، وليس فلسفيا ولا عاطفيا.. ما وراء كل بيت عظة، وخطاب للروح، نهج يروم به الباث الارتفاع بالإنسان إلى قمم الروح. ومن شأن الموعظة عنده أنه يعظم من شأن الذنوب ويهول من سطوة النفس.

تجتمع دلالات النص في تركيباتها لتحمل لنا مدلولاً كبيراً وعبرة جليلة، فهو يقرع في آذاننا أجراس الندم والحسرة لنتوب إلى الله!!..

فكل ما حولنا يذكرنا بالموت ويدعونا إلى تحصين النفس بذكر الله كثيرا، وطلب عفوه فهو المنجي، والأمثلة كثيرة منها:

20 ما كنت.. حين دعتك نفسك..؟ من ترى أنجاك منها غيرُ حِفظِ اللهِ؟!

45 لما رفعت يديك تلهج بالدعا ما كنت ترجو غير عفو الله

46 رغم المعاصي والمساوي كُلّها أو لم تجد فيها جلال الله؟

في القصيدة المطولة توتر شديد يتوق من خلاله إلى الصفاء مع النفس، والانطلاق إلى الحياة الحقيقية. فالتنوع والثراء اللغوي ينم عن ثراء التجربة، فضلا عن امتلاك تقنيات النفَس الطويل في النص.

على مستوى التشكيل الفني للأبيات، نرى الشاعر قد عمد في بعضها إلى الحذف أو ما يسمى بالصامت وقد أطلق النقاد المحدثون ذلك على السطر الصامت، (ميلاد، 2022، السنة 4، العدد22) ويقصد به إيجاد مساحات بيضاء داخل حركة النص، فالمحذوف يشير إلى الصمت من خلال النقط فالمفردات ناطق حي تنتج دلالتها،

أمـــا النقاط فيفرض على القارئ (المتلقـــي) أن يصمت أو يدخل في مجال تأملي مملوء بالدلالة.. وهذه النقاط تستعمل في الشعر الحديث كثيرًا (ينظر: يوسف، 2001) ولا نجدها في الشعر القديم، وقد استخدمها لعبيدي في الأبيات:

3 ماكنت... حين طرقت أبوابَ الألى نبذوك.. لولا طرقُ باب الله؟

4 ماكنت.. حين بليت في دنياك فاسـْ ـتَحضرت في بلواك صبر الله؟

ومثل ذلك في ب14، 16، ب20، ب23، ب27، ب37، ب51، ب 54، ب58، ب 60، ب 65. فالشـــاعر في هذه الأبيات يفتح حركة الدلالة والتجلي لأبعاد قصدية قد لا يفي فيها الكلام، فيفيء للصمت ويشـــير إليه بالنقط، ليفتح للمتلقي أفق الدلالة إلى معان أخرى.

صيغة الأمر:

تسهم فكرة الموت الذي يترصدنا في النص في الكشف عن تجليات تجربة الشاعر الذاتيـــة وخلجات نفســـه وهو يحاورها، تتجـــلى من خلاله هذه الفكـــرة التي تعد موضوعا مركزيا في القصيدة، تتحرك من خـــلال فعل الأمر الذي يحيلنا إلى الماضي الذي نلجأ إليه بحثا عن الطمأنية، ضالة الإنســـان الأبدية التي لا يكف عنها، فحتى لو غمت عليه أحيانا وأخطأها البصر، يظل في سعيه إليها بكامل تهيّئه وتفاؤله..

في المـــاضي يراجع المرء ما مضى لـــه وكان، ويتأمل ما يمكـــن أن يكون.. ورغم ذلك يبقى المرء فرحا بدفئه في مأواه الحنيني، يســـتنهض من خلاله عزيمته يضخها في نفســـه، يستنهض عزيمة فتت بســـب النوازل، ومنها هذا الداء اللعين كوفيد 19، فيلملم نفســـه التي شـــظتها هذه الجائحة، فليس أمامه سلاح إلا الحنين لهذا الماضي يستذكر فيه عجزه ورحمة الخالق له.

(عـــد)، مفتتح الأمر هذا هـــو المحرك الدلالي والمكمل التقريـــري، فالأمر يبغي

حتميــة الحكم والإلزام مع الشرط الذي ســيتكرر أيضا في المطولة، و هذا يؤدي إلى تعانق الجمل فيما بينها، حتى ليصبح تعالقها جملة شعرية واحدة حاملة للدلالة العامة على مســتوى النص بأكمله.. (عد) بهذه البنية التركيبية البسيطة ستتناسل الأبيات، و يكثف الشــاعر فكرة المطولة، ســنجدها تمثل المحور الأساسي الذي تدور حوله التراكيب والدلالات والصور.

من خلال الأمر هذا، يأمر الشــاعر المتلقي، انظر لماضيك، وهو يعانق حاضرك المؤلم.. هذا التناول الأســلوبي يريد من خلاله الشاعر إسقاط ما يشعر به على الذات المخاطــب (عبدالله) هو، أو أي مخلوق آخر، وبذلك يقصد تكثيف التصوير لمفاصل الأشــياء، كي يشــعر القارئ بحجم المعاناة التي حلت بالجميع، وقد أرسى المؤشر الأســلوبي في النداء (**يا أيها الراضي**) دعائم الدلالة وزاد من حضورها عند المتلقي، ففعل الأمر هنا يدور على مسند إليه وهو (الذات) سمها ما شئت فهي ذات الشاعر بل ذات المتلقي أيضا..

فالذي خلقك وســواك بالأمس جعلك عبد الله، فالنداء هنا عام مضمر الأداة، سرعان ما تؤده الأداة في الشطر الثاني بأسلوب (أي)، ليجسد من خلالها كبر التعظيم بقدر الله، ويستحضر قيمة الخوف من الله، فحكم الله جار على كل العباد..

يبدأ الشاعر يحاور نفسه من الولادة، مستفيدا من كاف الخطاب التي تشير لذات الشــاعر والمتلقي (ســواك) فالولادة تفضي لحياة أخرى، ومنها تنفتح القصيدة على التســاؤلات العميقة بأبعادها التأملية، لما بعد الولادة، يستجمع من خلالها الشاعر منذ الأبيات الأولى طاقته على فضاء الحياة والموت، مســتعينا بلطف الله؛ لأن الموت هو المصيبة الكبرى، وهو المهيمن على النص، مصيبة لا تعدلها أي مصيبة أخرى:

2 ما كنت تدري إذ دهتك مصيبة ماذا ستصنع دون لطف الله؟

من خلال هذا الافتتاح يتجلى الحوار الذاتي إلى المآلآت، فتبدو مشــاعره الآسية

هي التي تشـــكل مســـافة التوتر الكبيرة في الأبيات اللاحقة التي يعاود الشاعر فيها الأمر للذات قائلاً:

59 قل: إنني عبدٌ لربي طائعٌ ومن الخبائث عُذت باسم الله!

67 قل ما تشاء وتشتهيه تجده مكـــ ـتوباً لدى الملكين عند الله

وحيت تتجلى العبودية والطاعة في الحوار، فالدعاء والتســـليم بالقضاء أمر كبير، والسلامة في موالاة الخالق لا الشيطان، الذي هو أجدر بالعداوة من الله:

22 فاحذر عداوته تنل أمناً فما أمن الذي والى عدو الله

فحسن الله في فرجه ولطفه لو شاء العبد توصل إلى ذلك بالأخلاق ب24، والإيمان ب25، وهدي ســـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ب25، والأحزان تجف بهديه ب27 والفوز بتلاوة قرآنه ب30، وبالصوم ب 29 والزكاة ب 32، 33

وينفتح الأمر بالمصدر ليؤكد معاني الصبر للمظلوم الذي ترعاه عين الله:

18 صبراً أيا مظلوم لا تحزن فها ترعاك في دنياك عينُ الله

فمن يمكر بعباد الله يمكر الله بهم ولو إلى حين ب 19

الاستفهام:

يتكرر الاستفهام في المطولة بشكل كبير، فهو المحرك العاطفي القادر على اجتذاب المشاعر المتنوعة[1]، وقد اعتمده الشاعر وسيلةً فـــرشَ من خلالها ما جعله يجذب به كل الأطر المتاحة للحديث عن علاقة العبد بخالقه من خلال إسبار العاطفة في عمق الاستفهام الطالب للتأمل، والاستفهام بكل أنواعه نوع من الطلب، وفي النص نجد

(1) يمكن ملاحظة ذلك في كتاب التكرار اللفظي وأنواعه ودلالاته قديما وحديثا، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، كلية ابن رشد 1988.

الاستفهام مع التعجب والتمني والتقرير، والتعظيم والتهويل، والوعيد والتهديد، فضلا عن الاستفهام الإنكاري.

وأدوات الاستفهام في نص لعبيدي غالبا ما تتصدر أفعالاً لاسيما المضارعة (تجد، تعش، تقل، تكن، يظن) المشـــحونة بمعاني الاطمئنان للماضي.. فالمعاني تتحرك مع الاســـتفهام بحركية الفعل الناقل لزمن الحدث الماضي، والـــصراع النفسي المتجدد الذي تتعدد فيه وجوه الشـــك، مما جعل الشـــاعر يفصح عنه بشكل تفصيلي يسهم في دعم الدلالة المترسخة بأسلوب الاستفهام، من أمثلة الاستفهام المقترن بالمضارع وهو الحاضر والمستقبل، واســـم الفاعل، والمضارع المنفي بلم الذي يعيدنا للماضي: «ب 2 ماذا ســـتصنع دون لطـــف الله؟ / ب5 منْ جاعل في كل ضيق مخرجا؟ / ب6 ألم نـــشرح أتتك؟ / ب17 أفلم تقل أيان عدل الله؟ / ب37 من يا ترى لباك غير الله؟ / ب 41 هل من سينبت مثل نبته في الفلى؟ / ب 66 أفيصبرون على عذاب الله؟ «

ويكثر الشاعر من استخدام الاستفهام الإنكاري، ثم يأتي بعد الأداة حرف الواو للاســـتئناف، مع حرف النفي لم. من أمثلة ذلك: «ب46 أولم تجدْ فيها جلال الله؟ / ب 48 أو لم تعش حرا عزيزا موقنا؟ / ب49 أولم تقل للجاهلين تكرما؟ / ب50 أولم تجد أرضا لتمشي فوقها؟ / ب51 أولم تكنْ تأوي إليه؟ / ب 52 أولم يظن الناس أنك سيد؟.....» وأحياناً تمتد الجملة لاستيفاء المعنى بالعطف المتكرر أو بجزئياتها الممتدة عبر أكثر من بيت كما في البيتين 42-41 فيتضافر التدوير المعنوي والنحوي في إنشـــاء جمل ظاهرها القصر والبساطة، ولكنها تضمر تعقيداتها خلف القافية السلسة، فضلا عما يتنزة أسلوب المضاف إلى لفظ الجلالة من معان متنوعة.

وثمة أســـاليب نحوية تتعاضد مع الاســـتفهام في تمكين الدلالة بوساطة تكوين التراكيـــب، كالتوكيد بحرف (أو) الأبيات 48 وما بعـــده، 52، 61، 64، 65 أو الفاء ب 56.

التكرار:

التكرار جوهر الخطاب الشعري يكون على مستوى الأصوات، وعلى مستوى الوزن والقافية، وللتكرار أهداف فنية متعددة (ينظر: الملائكة، 1965) فقد يكرر الشاعر لفظة، أو سطرا أو جملة شعرية من أجل إضفاء لون من الموسيقا التي تثري شاعرية النص و تجذب انتباه القارئ، ويلجأ الشاعر لبلوغ ذلك المستوى إلى أفانين متعددة في استعمال اللغة، فهو يكرر الألفاظ والأسماء والأفعال بغرض الإيقاع الذي يثير الحس الجمالي في النفس ويدعو للتأمل.

فالتكرار يعدُّ من الأسس الأسلوبية التي تعمل على التماثل في النص الشعري بخاصة، وأنه يساهم في تمتين وحدة النص وتماسكه، فضلا عن أنه مرتبط بالحالة النفسية للشاعر بشكل مباشر، وما يريد أن يبعثه من رسائل ومضامين فكرية. فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها.

يعدُّ تكرار كلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة، أبسط ألوان التكرار، وهو لون شائع في الشعر (ينظر: الملائكة، 1965)، يتكئ إليه أحياناً الشعراء في محاولتهم تهيئة الجو الموسيقي لقصائدهم، كما أن هذا التكرار لا يرتفع إلى مرتبة الأصالة والجمال، ولكنه يشي بتمكن الشاعر من أدواته ومدى قدرته على الإمساك بزمام المطولة لكي لا تفلت من قبضته.. فالمطولات تستأنس كثيرا بفنون التكرار كي تقف على قدميها، وتفاخر بطولها وامتداداتها، فالأنماط التكرارية في مطولة لعبيدي تبدو في:

(ما كنت)، التي تتكرر ثماني مرات.

(لما) الشرطية، وهي حرف وجود الموجود أو حرف وجوب لوجوب، وقد دخلت على الماضي ب6، 8، 14 45، 47، وقد تكررت ست عشرة مرة مثل: لما

اغتربت..، لما تكسرت النصال..، لما تفطر..، لما مرضت.. لما شربت....

تكرار حرف العطف (الواو) إحدى عشرة مرة، على نحو: وبأن..، وتعاظمت.. ورأيت..، وإذا أردت..

(الفاء) تكررت سبع مرات، على نحو: فاحذر...، فبه يجف..، فلأنت.. فإن التزمت..

تكرار(أو) التي تستعمل للتخيير بين أمرين أو أكثر، وقد يدخل الشك في التخيير، فضلا عن أن هذا الحرف من استعمالاته التقسيم والتقريب وتفريق المجرد، وقد اتضح ذلك في بعض الأبيات، وقد ورد في النص ثلاث عشرة مرة منها: أويستقي..، أو لم تعش..، أو لم تقل.. أو لم تجد....

ومن خلال هذا التكرار تتنامى المطولة على مستوى استبدالي، إذ أن الكينونة في (ماكنت) تحت ظلالها أشياء كثيرة منها فعلية القول: ما كنت تدري ب2، أو الظرفية ما كنت حين ب4،3.. ما كنت لما.. ب7، يظهر تجاور الفعل الواحد الذي يستدعي جملتين ترتبت إحداهما على الأخرى فاستدعت جملة الجواب جملة أخرى ارتبطت بالفاء أو لولا، ليتوسع في مجال الشرط المعنى الوجودي لله.

في تكرار (لما): لما رحلت..، لما دخلت..، لما اقتربت.. لما....، يتشكل في هذا التكرار ترجيع نغمي، يرفع مستوى التأثير الانفعالي، ويموج حقول الدلالة، ويعطي قيمة جمالية، وقد أشارت أستاذتنا نازك الملائكة في قضايا الشعر المعاصر إلى أنواع التكرار التي ترتبط بالكم اللفظي ومنها تكرار كلمة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية (مفتاح، 2017: 157) **[ينظر كتاب قضايا الشعر المعاصر 232 وما بعدها]**.

وقد جاء التكرار النسقي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية، فقد خضعت الكلمات داخل النص الشعري إلى علاقات نحوية استبدالية

منهـــا تكرار الفعل الماضي أو المضارع أو الأمر، ومنهـــا ارتباط الفعل بأداة الجزم لم، وبخاصة مع (أو): أو لم تعش.. ب48، أولم تقل.. ب49، أولم تجد..ب 50 – 52..

وكلما تتابعت الكلمات المتطابقة أو المتقاربة الأصوات فإنها تغني الحث، أو الكف بسرعـــة، أو إعارة انتبـــاه، وإذا فصل بينهما فاصل فإن الهـــدف المتوخى من التكرار مرغوب فيه. ومن يقرأ الابيات التي أشرنا إليها في التكرار سيجد ذلك واضحا.

التكرار في المطولة يأتي على مســـافات متفرقة في النص، وهو يعكس ولع الشاعر بموســـيقا النص والتماثلات الصوتية، وهذا التنوع في التكرار وتجاوره أحيانا يثري النص أيقاعا وتواشجا مع البحر الشعري، وصولا للمهيمن الإيقاعي (الله) ودلالته التي تم توظيفها بإحكام في القافية..

أما تكرار الإيقاع في المطولة، فإن نظام البيت الشعري لا يسمح ياستطالة الجمل إلا بقـــدر محدود يتحكم به عدد التفعيلات المقننة للبحر الشـــعري، والقافية تضطر الشـــاعر إلى تكثيف الجملة الشعرية لإشـــباع طاقتها الحدية الصارمة، وهذا ما دفع لعبيدي إلى التصرف برتبة الجملة تصرفـــا لافتا للانتباه، فقد ألجأته القافية إلى اعتماد المضـــاف والمضاف إليـــه لتؤدي الحـــركات الإعرابية وظيفتها إذ حـــددت الرتب، ثم حققت المفاجأة الأســـلوبية بهـــذا التحديد، والقصيدة ابتعـــدت عن التعقيدات وخروقات الرتبة، واتســـعت الجمل فيها مكررة او غـــير مكررة لحركة التفعيلات، وساهم الإيطاء في إثبات أركان النص، فلفظ الجلالة يلازمه تجدد المضاف، وهذا ما جعل الشاعر يستدعي الألفاظ بعضها بعضا، مما يوضح ثراءه اللغوي، وهذا ينطبق على كل أبيات القصيدة لملاحظة هذا الجانب.

إن بعـــض الكلمات في البيت الواحد من المطولة تصنع مســـاحة متميزة في النص لقيمتها المعنوية أو لســـيطرتها على ذهن الشـــاعر وصـــولا إلى التركيز الإيقاعي في القافية.. وعلى الرغم من أن الإيقاع المتغير في البيت تحكمه قيم صوتية داخل النص

فإن الخطاب يجمع الموسيقا مع الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر عن طريق البناء النغمي يضفي على القصيدة طلاوة موسيقية تناسب حالة التوتر والقلق في نصح الذات، ويمكن ربط غنائية الشاعر في النص بالتوتر الحاد في رسم علاقته بالأشياء والحالة التي يعيشها (الحياة والموت) ومعه المتلقي.

بنية الحقول الدلالية:

جاءت المفردات في المطولة وفق مفاهيم جامعة لها في الحديث عن الذات، ومن شأنها أن تسهم في تتبع التقريرات الدلالية التي حملتها الكلمات في السياق النصي فالألفاظ الشرطية المتكررة: «لما اغتربت، لما تفطر، لما مرضت..» تنسج شبكات دلالية تبرز العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها وزمنها الماضي.

كما أن تعدد الحقول الدلالية قد جاء متساوقا كما في (لما.. ماكنت) مع رؤية الشاعر الفنية ومراميه الشعرية، وهو يشتغل على بحر يتناغم مع الزهد ونفسيته الذاتية، وغالبا ما جاءت حركة الأفعال في الماضي؛ لأنها تجسد حالة التوتر المستمرة، والقلق الذي يحدثه الموت في نفس الشاعر، ومن ذلك: «كنت، انهزمت، اغتربت، تكسرت، تعطر، مرضت، شربت، تسابقت فيك الهموم،، تعاظمت فيك الخطوب، رأيت، اجترحت، رحلت،...»، يمكن تأمل هذا الماضي المقترن بالشرط والاستفهام كحقول دلالية في الكثير من الأبيات، ومنها:

14 لَمَّا شربت قذى الحياة ألَمْ تكنْ ترجو النجاة.. تريد غيث الله؟

39 لَمَّا شربت الماء في أرجائه أوجدت ماء مثل ماء الله؟

يلاحظ في الترتيب الأول تكرار موسيقا التاء في: شربت، الحياة، تكن، ترجو، تريد..

في الصورة الثانية تكرار مفردة الماء ثلاث مرات، أما الثالثة فهي المهيمن في البيت،

ويمكن الموازنة بين الشرط والشرب في البيتين..

إن هذا الماضي كله يتعلق بحاضر الشـــاعر الـــذي يقدم الموت متجددا، متحركا، فالنجاة في غيث الله.. والنجاة في ماء الله، الماء سر الحياة..

ويمضي الشـــاعر يعيدنا لتجارب الماضي، لأنه يريـــد أن يذكرنا بالموت على طول النص، فذاكرته التي عاشـــها بين البلوى والضيـــق، والتيه في الفلوات، والاغتراب والخـــذلان حين تكسرت النصال على النصال والحنين والمرض والأرزاء، وصروف الدهر، وقذى الحياة، وتسابق الهموم، وتعاظم الخطوب، وظلم البشر، والمكر، وكل هذه الابتلاءات التي عاشـــها وقد تجاوزها.. تذكره به كورونا اليوم، فالموت مخزون في الذاكرة يقفز إلى حقل دلالي حين يحاور نفسه عنه، فالخلاص لنفسه المعذبة يأتي من الله الذي أنجاه من كل هذا الذي فرشه لنا على مساحة المطولة كلها.

وقـــد تأخذه تســـاؤلاته إلى بنية ضدية؛ لتكشـــف هذه البنية هـــي الأخرى عن العلاقات الداخلية للنص حين يســـتحضر في ب21 صورة الشيطان وكيده وعاداته، حتى يتجاوز هذا المكر؛ فحسن الله يهديه إلى المكارم والإيمان. ثم ينطلق بنا إلى الهادي البشير ســـيدنا محمد صلى الله عليه وســـلم، فتنثال الصور والدلالات، فبه الهداية، وبه يجف الحزن.. ويكشـــف لعبيدي هنا عن معطيـــات إيمانه التي تتجلى في الصلاة والصيام وقراءة القرآن والزكاة والحج، مصـــورا طوافه بالكعبة واقترابه من الصفا وشربه ماء زمزم..

ويمضي النص طويلا إلى تأمل كائنات الله وحســـن صنعه في الأرض والســـماء، والبحر، وفي الطير.. إلى جمال الله الذي نراه في خلقه.

وبهذا الحبك الفني تتســـق القصيدة أســـلوبيا بدلالاتها وصورها لتؤثر في نفسية المتلقي وهو يراجع نفســـه مع الشـــاعر وما يحيط بهذه النفس حين تنازعها المعاصي والمساوئ:

46 رغم المعاصي والمساوي كلها أو لمْ تجدْ فيها جَلالَ الله؟

تساؤلات متكررة مؤلمة ليصحو فيها الضمير، يذرف الدموع ندما في السر، فالعزة في الحياة وما يحيط بها لا يكون إلا لعز الله والإعراض عن الجاهلين.. ولا رجاء إلا في أمن الله، لا غرور ولا كِبر، إلا بذكر الله.. له الشكر على ما أنعم وتفضل، العبودية والطاعة له وحده، والاستعانة به وحده، ويمضي ليكمل صورة إيمان العبد بالأنبياء وملائكته ونبيه وكتابه والبعث... ثم يتعوذ من الحسد ب63، والحقد ب64 والتغافل ب65، مذكرا بالصبر، فكل شيء مكتوب لدى الملكين ب67 ويمضي إلى ذكر الصحابة والآل مختتما قصيدته بهم، مشيراً إلى مكان نظم القصيدة حيث غربته، التي عاش فيها أيام شدة الجائحة في الإمارات التي هي حصن الله للعرب والمسلمين ويخص الشارقة قائلاً:

89 بإمارة قد أشرقت أنوارها بالعلم والتقوى بحمد الله

90 سلطانها ما كان مثله من حقا يناصره كحق الله

ويسجل في الأبيات الأخيرة 92، 93 جهود سمو الشيخ سلطان القاسمي حاكم الشارقة الذي امتدت عطاءاته لخدمة الدين و الثقافة في مختلف المجالات في جميع أقطار العالم العربي ليقدم لنا صورة حقيقية عن ثقافة الشارقة، داعيا له بجزاء الله الأوفى، ثم ينطلق بعد ذلك للحديث عن نفسه وأبيه ويدعو للمسلمين بالمغفرة والرزق، الأبيات 103-99، وهذا ما عددته ذيلاً للمطولة التي تنتهي بالبيت التاسع والتسعين وهي عدد أسماء الله.

التناص:

التناص ذلك الفهم التقليدي الذي لا يتعدى بعده ما يسمى بالتأثير والتأثر، بل من الأولى أن نفهم التناص على أنه عملية تحويل فضاء دلالي قديم

إلى فضاءات دلالية جديدة لا منتهية، وأن نفهم التناص على أنه ضرب مشروع وطبيعي من الملفوظات لخلق انتاجات دلالية، وبعبارة شاملة علينا أن نفهم التناص على أنه توليد لجملة من التناصات اللامتناهية من الجمل بالنسبة للغة (ينظر: عويس، 1986).

في ضوء هذه الرؤية يدخل نص لعبيدي في شعر الزهد بامتياز، ويحمل الحكمة كما تشير إلى ذلك تراكيبة الواضحة التي أشرنا إليها دون غموض.. وهو يستقي الحِكَم من الموروث العربي والإسلامي[1]، فضلا عن شعر الحكمة والزهد، فيأخذ التواصل الشعري مساراً تفاعليا يتمثل في معارضة مباشرة يمتح فيها مما قيل؛ ولكن بأسلوب مغاير تمضي فيه القصيدة حتى آخرها في البيت التاسع والتسعين، فضلا عن ذيل المطولة الذي أكد فيه اسمه واصفا إيمان أبيه ثم تتماهى الأبيات الأخرى في الدعاء والتوسل إلى الله بالمغفرة لنفسه ولموتى المسلمين ب 97 وما بعده.. معطراً شعره بلفظ الإله، وما كلفظ الإله؟! الذي يحلو ذكره في النثر والشعر ب 102..

و للتناص صور مختلفة في مطولة لعبيدي، فالنجاة أن ترتوي من غيث الله ب 14، وكلما زاد العسر يقابله يسر الله ب15، وكلما رأيت ظلما فثمة عدل الله ب 17، ومن يمكر سيمكر به الله ب19، والهداية كلها من نور الله ب24..

ويتناص مباشرة وليس إيحاء مع القرآن الكريم(15) في عدة أبيات: ألم نشرح ب6، إن مع العسر يسر ب15، صنع الله ب40، اسجدوا ب 62، أعوذ من حسد 63، يتقابل الإخوان في سرر ب73، نعمة ترجى 92.

هكذا يوظف زخماً من الحكم معتمدا التناص مع النص القرآني فضلا عن أنساق ثقافية أخرى منها المواعظ وأشعار الزهد.. وهو كأي شاعر في هذا المجال يشترك مع شعراء من المشرق والمغرب في هذه الظاهرة.

(1) القرآن الكريم: سور الشرح: الآيات 1-8، سورة الفلق: الآيات 1-5

نجد في المطولة تكرار القافية، وما يتردد في شـــعر الزهـــد والمواعظ، وتمجيد الله بتكرار لفظ الجلالة، وهدي الرسول:

26 ماكنت... لولا أن دعاك محمد فمحمد للخلق هَديُ الله

مســـتوفيا بعد ذلك ذكر القرآن الكريم ب 28، وتلاوته ب 30 مشـــيرا إلى أركان الإسلام:

29 ما كنت حين كففت عن أكلٍ نها راً ظامئا حبا لفرض الله؟

وبعـــد الصوم يذكر الـــزكاة والطهارة والعطاء في الأبيـــات 31، 32، 33، ويقدم لنا صورة عن الحج الذي بذل ماله ملبياً دعاء الله في خمســـة أبيات 39-35ويواصل الملمح الفكري والعقدي بأسلوب سهل وعبارة قريبة، مستفيدا من التكرار في آخر البيت بإحداث إيقاع موسيقي يتلاءم مع الملامح الدينية والفكرية والعاطفية.. وهو في كل بيت يخلق المناســـبة التي تتيح له أن يكسر القاعدة ليستمرئ المتلقي ما يصنع، وقد سوغ النقاد والبلاغيون هذا الإيطاء وعدوه نوعا من الإبداع الأدبي، له ظروفه.

إن هذه المطولة على ما فيها من تنوع فكري وثراء في المادة الشـــعرية تنم عن ثراء التجربة، فالشـــاعر يمتلك تقنيات نصه، ويتناص مع نصوص سبقته إلى ذلك منها نص الزاهد الكبير الإلبيري الأندلسي (375 460- هـ)، كما ســـماه د. شوقي ضيف (ينظر: عصر الدول والإمارات)، وذكر لهذا الشاعر ديوان نشر وطبع أكثر من مرة، وفيه قصيدتان تنتهي إحداهما بلفظ الجلالة (الله) وهي في ثلاثة وخمسين بيتا، وتنتهي الثانية بكلمة (النار) وهي في سبعة وثلاثين بيتا، يقول في الأولى:

يا أيـــــها المغتر بالله فِرْ من الله إلى الله

ولذْ به واسأله من فضله فقد نجا من لاذ بالله

وقمْ له الليل في جنحه فحبذا من قـــــام لله

فالشـــاعر الإلبيري قصد من التكرار كما فعل لعبيدي لغرض أو أغراض مختلفة يريـــد إيصالها الى المتلقي قارئا أو ســـامعاً، وإذا كان الإلبيري وهو المبتدي فيما صنع ظاهرة فنية لم يســـبق إليها، و قد خرج على المألوف في القصيدة العربية، ثم استدرك عـــلى مخالفته، فهو كما المقتدي، أضفيا جواً من المهابة على القصيدة وفنية امتازت كل قصيدة بما أتاحته ملكة كل شـــاعر منهما، ولا شـــك أن كل بيت يدل دلالة جديدة، كانت فيه جوهرة تضيء جوانبه، وفارِق لعبيدي عن قدوته، أن نَفَســـه الشعري كان أطول فنزلت تلك الجواهر بعدد أسماء الله الحسنى.

و من الشـــعراء الذين اقتفوا أثر الزاهد الكبير الإلبيري، الشاعر أبو العباس أحمد بن محمد البلنسي 609-693 هـ، الذي نجـــد ذات التكرار في قصيدة طويلة له للفظ الجلالة، يقول فيها:

يا صاحب الهم إن الهم منفرج كم من أمور شداد فرَّج الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبه لا تيأسن فإن الفاتح الله

الله حسبك في ما عذت منه به وأين يأمنهم من حسبه الله

وفي ديوان أبي الحنان الأندلسي، من شـــعراء القرن السابع الهجري، قصيدة يبدأ الشاعر كل بيت بذكر الله وينهيه بلفظ الله يقول:

لله أبعث رغبتي متيقنا أن لا يخيّب راغبٌ لله

لله ترتفع المطالب كلها أنجح بمطلب طالب الله

لله جود لا تغيض بحاره لا جود إلا ما انتمى لله

وتمضي القصيدة على هذا النســـق حتى آخرها، وعدتهـــا (21 بيتا)، وقد نظم ابن الحنـــان القصيدة بناء على طلب صديقه أبي العلاء من المرابط صاحب كتاب (زواهر الفكر) (ينظر: باشا، 2012).

وفي رحلة ابن رشيد خبر طريف قال: حدث أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد النيسابوري.. عن أبيه قال: أنشدنا لنفسه، قال افتتح بذكر الله والصلاة على الرسول «صلى الله عليه وسلم»:

لأصلين على النبي محمد أبداً كما يرضى وآل محمد

خير البرايا أجمعين محمد والآل خير الآل آل محمد

خير الصحابة في الورى أصحابه وأعز بيت بيت آل محمد (ينظر: حدادي، 2003).

وفي لطائف ذوي التمييز أبيات لم يسم الفيروزأبادي صاحبها ينتهي كل بيت فيها باسم الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

وثمة قصائد حديثة تتكرر فيها القافية كما فعل بيرم التونسي في قصيدته (المجلس البلدي)[2] وعلى نهج بيرم، نظم شاعر الحمراء قصيدة عنوانها (المطعم البلدي) [3] تتكرر فيها القافية بكلمتي المطعم البلدي وهي قصيدة هزلية، وللشاعر علال الفاسي قصيدة عنوانها (الشعر والأدب) (ديوان الفاسي، 1984)، يكرر فيها هاتين الكلمتين في أبيات القصيدة جميعا، قال فيها:

أنا ابنُ جَدِّي وقومي السادة العرب وحرفتي ما حييتُ الشعرُ والأدبُ

بقي أن نقول في هذا المجال: إن تكرار الصور الشعرية عند شعراء الوعظ والزهد يشبه إلى حد ما «التناص الخفي» غير أن الفرق بينهما هو أن

(1) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزأبادي مجد الدين بن يعقوب، تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة، المجلس الأعلى للفنون الإسلامية 1973.

(2) المجلس البلدي، لبيرم التونسي أول الأمر في جريدة الأهالي، وهي أول قصيدة نشرت لبيرم، ومطلعها:
يابائع الفجل بالمليم واحدةً كم للعيال وكم للكجلس البلدي

(3) شاعر الحمراء والمطعم البلدي بطنجة، الشاعر محمد بن إبراهيم المراكشي. ومطلع قصيدته: إن كان في كل أرض ما تشانُ بها فإن طنجة فيها المطعم البلدي

الأول لا تتـــداخل أو تلتقـي فيـه صـورة لشـاعر آخـــر بصـورة أصـلية ولكنهـا الصـــورة المبتدعـة مـــن الشاعر نفسه حين تعاد وتكرر، وهذا النوع قد لا يصعب اكتشافه أحيانا؛ لأنـه يكـون داخـل الـنص حيـث تتسـع درجة التماهي بين الرؤى والصور بل والمفردات أحيانا.

المراجع:

القرآن الكريم

- إلياس، صميم كريم. التكرار اللفظي وأنواعه ودلالاته قديما وحديثا، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية ابن رشد 1988
- باشا، أحمد تيمور. أبو العلاء المعري، مؤسسة هنداوي 2012م.
- بنيس، محمد. الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، دار توبقال للنشر، 2014 ط
- حدادي، أحمد. رحلة ابن رشيد السبتي، وزارة الأوقاف والشؤون الأسلامية، المغرب 2003
- عتيق، عبد العزيز. علم المعاني، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت
- العروضي، أبو الحسن. الجامع في العروض والقوافي، تحقيق د. زهير غازي زاهد، أ. هلال ناجي، بيروت، دار الجيل. د.ت
- عويس، محمد. الحكمة في الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية 1986.
- الفاسي. ديوان علال الفاسي، تنظر قصيدة (الشعر والأدب)، مؤسسة علال الفاسي، 1984م
- الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب. بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة، المجلس الأعلى للفنون الإسلامية 1973.
- مبارك، زكي. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، شعراء الزهد، مؤسسة هنداوي 2012
- مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري استراتيجية، رؤية للنشر والتوزيع ط1، 2017
- الملائكة، نازك صادق. قضايا الشعر المعاصر، الفصل الثالث، دلالة التكرار في الشعر، مكتبة النهضة بغداد، 1965
- موسوعة دواوين الشعر العربي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم 2009م.
- يوسف، حسني عبد الجليل. أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، دار المختار الإسلامي 2001م.

المجلات:

- مجلة أوراق ثقافية / السنة الرابعة / العدد الثاني والعشرون 2022، د. شربل ميلاد.

الملحق:

من أنتَ... لولا اللّه؟

للشَّاعر لعبيدي بوعبدالله

إلى كل ضحايا جائحة كورونا دون استثناء..

ومن وهبهم البارئ الحياة

عُــدْ لِلَّــذِي سَــوَّاكَ عَبْــدَ اللهَّ ... يَــا أَيُّهَــا الــرَّاضِي بِحُكْــمِ اللهَّ
مَا كُنْتَ تَــدْرِي إِذْ دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ ... مَاذَا سَــتَصْنَعُ دُونَ لُطْــفِ اللهَّ؟
مَاكُنْتَ... حِينَ طَرَقْتَ أَبْوَابَ الأُلَى ... نَبَــذُوكَ.. لَوْلَا طَرْقُ بَــابِ اللهَّ؟
مَاكُنْتَ.. حِينَ بُلِيتَ فِي دُنْيَاكَ فاسْــ ... ــتَحْضَرْتَ فِي بَلْــوَاكَ صَبْرَ اللهَّ؟
مَنْ جَاعِــلٌ فِي كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا؟ ... مَــنْ فَاتِــحٌ مِنْ غَــيْرِ فَتْــحِ اللهَّ؟
لَمَّــا انْهَزَمْتَ أَلَمْ تَــرَ الْبُشْرَى..؟ أَلَمْ ... نَــشْرَحْ أَتَتْكَ.. وجَــاءَ نَصْرُ اللهَّ؟
مَا كُنْتَ لَمَّا تُهْتَ فِي الْفَلَوَاتِ؟ هَلْ ... بَــشَرٌ حَمَــاكَ بِغَــيْرِ أَرْضِ اللهَّ؟
لَمَّا اغْتَرَبْتَ فَعِشْــتَ مَهْمُومًا بِــمَا ... لَاقَيْتَــهُ فَوَجَــدْتَ أُنْــسَ اللهَّ
لَمَّا تَكَــسَّرَتِ النِّصَالُ فَلَمْ تَــجِدْ ... مِــنْ وَاصِــلٍ يُــدْنِي كَحَبْــلِ اللهَّ
لَمَّــا تَفَطَّــرَ فِي الْفُــؤَادِ حَنِينُــهُ ... فَغَــدَا هَوَى الْمُشْــتَاقِ حُــبَّ اللهَّ
لَمَّا مَرِضْتَ.. أَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّــمَا الْـ ... أَدْوَاءُ جُنْــدٌ مِــنْ جُنُــودِ اللهَّ؟
وَبِأَنَّ مَــا يُقْضَى مِــنَ الْأَرْزَاءِ فِيـ ... ــنَا كُلُّــهُ يَجْــرِي بِأَمْــرِ اللهَّ
مَا كُنْتَ لَمَّــا أَظْمَأَتْكَ صُرُوفُ دَهْـ ... ــرِكَ فَارْتَوَيْتَ أَلَيْسَ غَيْثُ اللهَّ؟!
لَمَّا شَرِبْتَ قَــذَى الْحَيَــاةِ أَلَمْ تَكُنْ ... تَرْجُو النَّجَاةَ... تُرِيدُ غَوْثَ اللهَّ؟!
وَتَسَابَقَتْ فِيكَ الْــهُمُومُ فَلَمْ تَــجِدْ ... لِلْعُــسْرِ رَاقٍ غَــيْرَ يُــسْرِ اللهَّ!
وَتَعَاظَمَتْ فِيكَ الْــخُطُوبُ فَقُمْتَ فِي ... مِــحْرَابِهِ.. تَجْتَــرُّ ذِكْــرَ اللهَّ

وَرَأَيْتَ ظُلْمًا فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا ... أَفَلَمْ تَقُلْ: «أَيْنَ عَدْلُ اللهَّ؟
صَبْرًا أَيَا مَظْلُومُ لَا تَحْزَنْ فَهَا ... تَرْعَاكَ فِي دُنْيَاكَ عَيْنُ اللهَّ»
أَوَ مَا رَأَيْتَ بِأُمِّ عَيْنِكَ مَاكِرًا ... قَدْ جَاءَهُ فِي الْحِينِ مَكْرُ اللهَّ!
مَاكُنْتَ.. حِينَ دَعَتْكَ نَفْسُكَ..؟ مَنْ تُرَى ... أَنْجَاكَ مِنْهَا غَيْرُ حِفْظِ اللهَّ؟!
مِنْ كَيْدِ شَيْطَانٍ تَمَرَّدَ عَاصِيًا ... فَأَذَاقَهُ مَوْلَاكَ خِزْيَ اللهَّ
فَاحْذَرْ عَدَاوَتَهُ تَنَلْ أَمْنًا فَمَا ... أَمِنَ الَّذِي وَالَى عَدُوَّ اللهَّ
لَمَّا أَتَاكَ بِلُطْفِهِ فَرَجًا وَلَمْ ... تَسْأَلْهُ.. هَذَا كَانَ حُسْنُ اللهَّ
لَمَّا اهْتَدَيْتَ إِلَى الْمَكَارِمِ وَالتُّقَى ... لَمْ يَهْدِ قَلْبَكَ غَيْرُ نُورِ اللهَّ
لَمَّا أَذَاقَكَ مِنْهُ إِيمَانًا بِهِ ... هَذَا لَعَمْرِي فِيكَ سِرُّ اللهَّ!
مَا كُنْتَ... لَوْلَا أَنْ دَعَاكَ مُحَمَّدٌ ... فَمُحَمَّدٌ لِلْخَلْقِ هَدْيُ اللهَّ
فَبِهِ يَجِفُّ الْحُزْنُ.. يُشْرِقُ مَبْسَمٌ ... لَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ... وَأَيْمُ اللهَّ
لَمَّا قَرَأْتَ -مُصَلِّيًا- قُرْآنَهُ ... مَا فُزْتَ لَوْلَا قُلْتَ قَوْلَ اللهَّ؟!
مَا كُنْتَ حِينَ كَفَفْتَ عَنْ أَكْلٍ نَهَا ... رًا ظَامِئًا حُبًّا لِفَرْضِ اللهَّ؟
لَمَّا تَلَوْتَ كِتَابَهُ مُتَهَجِّدًا ... مَنْ ذَا أَعَدَّكَ ضِمْنَ أَهْلِ اللهَّ؟
لَمَّا اجْتَرَحْتَ مِنَ الذُّنُوبِ تَلُوكُهَا ... كُنْتَ افْتَضَحْتَ بِغَيْرِ سِتْرِ اللهَّ!
مَا كُنْتَ تَطْهُرُ دُونَ أَنْ تُعْطِي الْأُلَى ... أَسْمَاهُمُ الْمَوْلَى عِيَالَ اللهَّ
فَلَأَنْتَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِمُ ... مِنْ حَاجَةِ الثَّكْلَى لِمَالِ اللهَّ!
أَعْطَاكَ بِالْحَسَنَاتِ عَشْرًا بَلْ مِئَا ... تٍ إِنَّهُ حَقًّا نَوَالُ اللهَّ!
لَمَّا رَحَلْتَ مُلَبِّيًا وَمُكَبِّرًا ... أَوَ لَمْ تُجِبْ طَوْعًا أَذَانَ اللهَّ؟!
فَبَذَلْتَ مَالَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِهِ ... تَنْوِي بِذَاكَ الْبَذْلِ حَجَّ اللهَّ
لَمَّا دَخَلْتَ الْبَيْتَ.. طُفْتَ بِكَعْبَةٍ ... مَنْ يَا تُرَى لَبَّاكَ غَيْرُ اللهَّ؟!
لَمَّا اقْتَرَبْتَ مِنَ الصَّفَا أَفَلَمْ تَجِدْ ... مِسْكًا تَضَوَّعَ مِنْهُ بَيْتُ اللهَّ؟
لَمَّا شَرِبْتَ الْمَاءَ فِي أَرْجَائِهِ ... أَوَجَدْتَ مَاءً مِثْلَ مَاءِ اللهَّ؟
أَوَجَدْتَ صُنْعًا فِي الْحَيَاةِ كَصُنْعِهِ؟ ... سُبْحَانَهُ مَنْ قَالَ: «صُنْعَ اللهَّ»

هَلْ مَنْ سَيُنْبِتُ مِثْلَ نَبْتِهِ فِي الْفَلَى؟ أَوْ يَقْتَفِي نَجْمًا كَنَجْمِ اللهَّ؟
أَوْ يَسْتَقِي مَاءً كَمَائِهِ سَائِغًا؟ أَوْ يَمْتَطِي بَحْرًا كَبَحْرِ اللهَّ؟
أَوْ مَنْ سَيَحْفَظُ فِي السَّمَاءِ كَوَاكِبًا وَيُطِيرُ فِي الْأَجْوَاءِ طَيْرَ اللهَّ؟
أَوْ مَنْ يُجَمِّلُ خَلْقَهُ كَجَمَالِهِ فَصِفَاتُهُ فِيهَا جَمَالُ اللهَّ
لَمَّا رَفَعْتَ يَدَيْكَ تَلْهَجُ بِالدُّعَا مَا كُنْتَ تَرْجُو غَيْرَ عَفْوِ اللهَّ
رُغْمَ الْمَعَاصِي وَالْمَسَاوِي كُلِّهَا أَوَ لَمْ تَجِدْ فِيهَا جَلَالَ اللهَّ؟
لَمَّا ذَرَفْتَ دُمُوعَكَ الْحَرَّى أَلَمْ تَكُ نَادِمًا فِي السِّرِّ خَوْفَ اللهَّ؟
أَوَ لَمْ تَعِشْ حُرًّا عَزِيزًا مُوقِنًا أَنْ لَا مَعَزَّةَ غَيْرُ عِزِّ اللهَّ؟
أَوَ لَمْ تَقُلْ لِلْجَاهِلِينَ تَكَرُّمًا: «أُهْدِي سَلَامًا مِنْ كَلَامِ اللهَّ»؟
أَوَ لَمْ تَجِدْ أَرْضًا لِتَمْشِيَ فَوْقَهَا هَوْنًا كَمَا يَمْشِي عِبَادُ اللهَّ؟
أَوَ لَمْ تَكُنْ تَأْوِي إِلَيْهِ تَرْتَجِي أَمْنًا.. وَمَا أَمْنٌ كَأَمْنِ اللهَّ؟
أَوَ لَمْ يَظُنَّ النَّاسُ أَنَّكَ سَيِّدٌ ثِقَةٌ وَعَدْلٌ مِنْ رِجَالِ اللهَّ؟
وَإِذَا خَلَوْتَ حَسِبْتَ نَفْسَكَ سَيِّدًا وَكَأَنَّ خُلْقَكَ مِنْ كَمَالِ اللهَّ!
ثُمَّ اسْتَفَقْتَ وَفِي فُؤَادِكَ غُصَّةٌ: «كَلَّا وَحَاشَا أَنْ... مَعَاذَ اللهَّ»
لَمَّا قَرَأْتَ قَصِيدَ شِعْرِيَ لم تكُنْ لتَعِي الْمَعَانِيَ دُونَ ذِكْرِ اللهَّ
فَاشْكُرْ إِلَهًا.. مُنْعِمًا مُتَفَضِّلًا مَا كَانَ يَكْفِي مِنْكَ شُكْرُ اللهَّ!
مَا كَانَ يَكْفِي كَيْ يُعَادِلَ زَفْرَةً أَنَّى وَقَدْ أُوتِيتَ خَيْرَ اللهَّ!
مَا كَانَ شُكْرُكَ لِلْإِلَهِ تَفَضُّلًا حَاشَا.. فَأَنْتَ بِذَاكَ عَبْدُ اللهَّ!
قُلْ: إِنَّنِي عَبْدٌ لِرَبِّيَ طَائِعٌ وَمِنَ الْخَبَائِثِ عُذْتُ بِاسْمِ اللهَّ
وَأَعُوذُ مِنْ حَالِ الَّذِي فِي دَهْرِهِ لَمْ يَسْتَعِنْ.. لَمْ يَسْتَعِنْ بِاللهَّ
أَوْ يَسْتَهِنْ بِنَبِيِّهِ وَكِتَابِهِ وَالْبَعْثِ وَالْإِسْرَا وَرُسْلِ اللهَّ
وَمَلَائِكٍ سَجَدَتْ لِآدَمَ حِينَمَا قَالَ: «اسْجُدُوا» فَهَوَتْ أَمَامَ اللهَّ
وَأَعُوذُ مِنْ حَسَدٍ أَتَى مِنْ حَاسِدٍ؛ أَعْمَى تَنَاسَى فِيكَ كَيْدَ اللهَّ
أَوْ حَاقِدٍ وَالْحُرُّ لَيْسَ بِحَامِلٍ حِقْدًا لِخَلْقٍ ذَاكَ دِينُ اللهَّ

أَوْ غَافِـلٍ لَمْ يَسْـتَعِدَّ.. وَحُـقَّ أَنْ ... يَشْـتَاقَ كُلُّ أَخٍ لِقَـاءَ اللهَّ
إِنْ كُلُّهُمْ لَا يَصْـبِرُونَ عَلَى النَّوَى ... أَفَيَصْـبِرُونَ عَـلَى عَـذَابِ اللهَّ؟!
قُلْ مَا تَشَـاءُ وَتَشْـتَهِيهِ تَجِدْهُ مَكْـ ... ـتُوبًا لَـدَى الْمَلَكَـيْنِ عِنْـدَ اللهَّ
أَنْـتَ الَّـذِي أَنْجَـزْتَ ذَاكَ مُخَيَّرًا ... مَـعْ أَنَّـهُ فِي كُنْـهِ عِلْـمِ اللهَّ
لَا شَيْءَ فِي الدُّنيَـا سَـيَعْدِلُ تَوْبَةً ... لَا جَـاهَ فِيهَـا غَـيْرُ جَـاهِ اللهَّ
مَا الْعَيْـشُ إِلَّا أَنْ تَعِيـشَ مُكَرَّمًا ... هَـاذَاكَ -إِنْ آمَنْـتَ- عَيْشُ اللهَّ
ثُـمَّ الصَّـلَاةُ عَـلَى نَبِيِّـهِ رَحْمَـةٌ ... لِلْعَالَمِـينَ وَخَـيْرُ خَلْـقِ اللهَّ
فَإِنِ الْتَزَمْـتَ بِهَدْيِهِ نِلْـتَ الَّذِي ... نَـالَ الْهُـدَاةُ وَنِعْـمَ أَجْـرُ اللهَّ
فِي جَنَّـةٍ يَتَقَابَـلُ الْإِخْـوَانُ فِي ... سُرُرٍ وَفِي أُنْـسٍ بِفَضْـلِ اللهَّ
ثُـمَّ الرِّضَـا عَـنْ آلِـهِ وَصَحَابَةٍ ... فَبِحُبِّهِـمْ نَرْتَـاحُ قُـرْبَ اللهَّ
مِنْهُـمْ أَبُـو بَكْـرٍ وَفَـارُوقٌ هُمَا ... أَيْضًـا هُمَـا صِهْـرَا رَسُـولِ اللهَّ
عُثْمَانُ مَنْ جَمَـعَ الْقُرَانَ بِمُصْحَفٍ ... فَبِفَضْلِـهِ يُتْـلَى كَلَامُ اللهَّ
وَعَلِيُّنَـا هُـوَ إِبْـنُ عَمِّ رَسُـولِنَا ... أَسَـدٌ جَسُـورٌ مِـنْ أُسُـودِ اللهَّ
سَـعْدٌ سَـعِيدٌ طَلْحَةٌ وَأَبُـو عُبَيْـ ... ـدَةَ كُلُّهُـمْ أَبْـلَى بِجَنْـبِ اللهَّ
ثُمَّ ابـنُ عَوْفٍ وَالزُّبَـيْرُ وَحَمْزَةُ الْـ ... ـعَبَّاسُ وَابْنُـهُ هُـوَ عَبْـدُ اللهَّ
وَأَبُـو سَـعِيدٍ جَابِـرٌ وَأُسَـامَةٌ ... وَأَبُـو هُرَيْـرَةَ ثُـمَّ سَـيْفُ اللهَّ
وَبَقِيَّةُ الْأَصْحَابِ مَنْ عَاشُـوا كَمَا ... مَاتُـوا جَمِيعًـا فِي رِحَـابِ اللهَّ
وَعَـلَى جَمِيـعِ بَنَاتِـهِ وَنِسَـائِهِ ... فُقْـنَ اللَّـوَاتِي مِـنْ إِمَـاءِ اللهَّ
وَالتَّابِعُـونَ وَتَابِعِيهِـمْ بَعْدَهُـمْ ... فَعَلَيْهِـمُ مِنِّـي سَـلَامُ اللهَّ
نَظْمُ الْقَصِيـدَةِ فِي الْإِمَارَاتِ الَّتِي ... لِلْعُـرْبِ وَالْإِسْـلَامِ حِصْـنُ اللهَّ
بِإِمَـارَةٍ قَـدْ أَشْرَقَـتْ أَنْوَارُهَـا ... بِالْعِلْـمِ وَالتَّقْـوَى بِحَمْـدِ اللهَّ
سُـلْطَانُهَا مَا كَانَ مِثْلَـهُ مَنْ يَرَى ... حَقًّـا يُنَـاصِرُهُ كَحَـقِّ اللهَّ
حَامِـي الْمَآثِـرِ.. لِلْعُلُـومِ مُقَدِّرٌ ... لَا شَيْءَ يُعْظِمُـهُ كَقَـدْرِ اللهَّ
وَإِذَا أَرَدْتَ جُهُـودَهُ بَيْنَ الْوَرَى: ... قُلْ: «نِعْمَـةٌ تُرْجَـى» وَحَقِّ اللهَّ!

يَجْزِيــهِ رَبُّ الْعَالَمِــينَ بِفَضْلِــهِ مَــنْ فَضْلُــهُ أَوْفَى كَمِثْــلِ اللهَّ؟!
نَظَــمَ الْقَصِيــدَةَ عَبْدُ رَبِّهِ مُسْــلِمٌ فِي كُلِّ مَحْيَــاهُ لِوَجْــهِ اللهَّ
قَــدْ قَالَهَــا مُتَوَسِّــلًا مُتَعَجِّــلًا يَرْجُــو الثَّبَــاتَ عَــلَى صِرَاطِ اللهَّ
الإِسْــمُ لَعْبِيــدِي أَبُــوهُ مُحَمَّــدٌ مَــنْ مَــاتَ يَتْلُــو بَيِّنَــاتِ اللهَّ
فَاغْفِــرْ لَهُ مَــا كَانَ بَيْنَــهُ وَالْوَرَى أَوْ بَيْنَــهُ ذَنْبًــا وَبَــيْنَ اللهَّ
وَاغْفِــرْ لِمَوْتَى الْمُسْــلِمِينَ جَمِيعِهِمْ يَــا رَبِّ وَارْزُقْهُــمْ أَمَــانَ اللهَّ
أَلْزَمْتُ نَفْسِي بِالَّذِي مَا عَابَهُ الشُّــ ــعَرَاءُ قِدْمًــا فِي بِــلَادِ اللهَّ
عَطَّرْتُ شِــعْرِي حِينَ كُنْتُ مُرَدِّدًا لَفْــظَ الْإِلَــهِ وَمَــا كَلَفْــظِ اللهَّ؟!
فَهُــوَ الَّــذِي يَحْلُــو بِنَثْــرٍ مُفْرَدًا أَنَّــى بِشِــعْرٍ فِيــهِ مَــدْحُ اللهَّ؟!
فَكَأَنَّــهُ فِي النَّثْــرِ دُرٌّ آسِرٌ وَكَأَنَّــهُ فِي الشِّــعْرِ آيُ اللهَّ!
أَبْيَاتُــهُ تِسْــعُونَ مَــعْ تِسْــعٍ فَمَا فَاقَــتْ بِبَيْــتٍ عَــدَّ أَسْــمَا اللهَّ

2020 /04 /15